منهج الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن في كتابه "التفسير البسيط" دراسة تطبيقية على سورتي الرعد وإبراهيم

الأستاذ الدكتور/ ناصر بن محمد المنيع
أستاذ التفسير بقسم الدراسات القرآنية
كلية التربية – جامعة الملك سعود

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث منهج الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن في كتابه الحافل "التفسير البسيط"، من خلال دراسة تحليلية لسورتي الرعد وإبراهيم. وقد انتظم البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

وقد عرضت للتعريف بالإمام الواحدي وتفسيره البسيط، ووضحت المراد بتفسير القرآن بالقرآن، وطريقة الوصول إليه، وحجيته.

ثم استقرأت منهج الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن، ثم ذكرت أبرز أوجه تفسير القرآن بالقرآن عنده وهي سبعة: جمع الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد، وتفسير معنى آية بمعنى آية أخرى، وتفسير لفظ في الآية بلفظ في آية أخرى، وبيان مراد اللفظ بسياق آية أخرى، وأن يختار المفسر قولا في الآية استنادا على آية أخرى، والجمع بين الآيات، وحل مشكل توهم التعارض بين الآيات، والاستدلال على صحة قراءة لفظة في الآية بآية أخرى. وذكرت أمثلة تطبيقية لهذه الأوجه من خلال سورتي الرعد وإبراهيم.

وختمته ببعض النتائج والتوصيات ومنها:

- اتضح أن الإمام الواحدي ممن اعتنى كثيرا بتفسير القرآن بالقرآن، وله في ذلك منهج متميز، وإن لم يشتهر بذلك عند العلماء والباحثين.
- تفرد الواحدي في بعض المواطن بتفسير القرآن بالقرآن؛ حيث لم يسبقه أحد من المفسرين إلى ذلك.
- ربط الواحدي بين الشاهد القرآني وبين النص المأثور والشاهد الشعري بأسلوب علمي موفق.
- كان للواحدي منهج بارز في الإحالة للآيات القرآنية السابقة واللاحقة.

أما التوصيات:

- دراسة عميقة وشاملة لتفسير القرآن بالقرآن الكريم في كامل كتاب البسيط للواحدي.
- حصر الأوجه التي تفرد بها الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن مع بيان الأوجه التي نص عليها ودلل عليها.
- عقد موازنات بين المفسرين في مناهجهم في تفسير القرآن بالقرآن.

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

فإن أفضل ما اشتغل به المشتغلون، وخير ما تفنى فيه الأعمار، وتعمر به الأوقات، كتاب الله تبارك وتعالى؛ فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه [1].

ومما أكرم الله به أمة محمد ﷺ، أن وعد الله -جل وعلا- ببيان كتابه وتفصيله وإيضاحه لهم، ومن بيانه ما جاء فيه من تفسير بعضه لبعض، فما جاء منه مجملا في موضع جاء مفصلا في موضع آخر، وقد قام النبي ﷺ بتفسير القرآن بالقرآن؛ ومن ذلك ما ورد عنه ﷺ في تفسير (الظلم) في قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢} [سورة الأنعام:٨٢]، فقد خصصه بالشرك، واستدل على ذلك بقوله تعالى: {إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ} [سورة لقمان:١٣] [2].

وجاء في آثار صحابته الكرام ﷺ ما يدل على عنايتهم بتفسير القرآن بالقرآن، واحتجاجهم به، ولا يكاد يخلو منه تفسير مفسر، فهو أول مصادر التفسير التي ينبغي الرجوع إليها وتطبيقها، وإعمال النظر فيها.

وقد قرر الأئمة الأعلام أن أصح طرق التفسير، تفسير القرآن بالقرآن، قال ابن تيمية: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يُفسَر القرآن بالقرآن، فما أُجمِل في مكان؛ فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان؛ فقد بسط في موضع آخر..." [3].

ومن التفاسير التي عنيت بتفسير القرآن بالقرآن على وجه الخصوص، تفسير الإمام الواحدي المسمى "التفسير البسيط"، فلأهمية هذا الجانب عنده، وظهور عنايته به رأيت استقراء منهجه في تفسير القرآن بالقرآن ودراسته؛ مستنبطا الوجوه التي استخدمها في تفسيره لسورتي الرعد وإبراهيم.

---

١) جزء من أثر أخرجه الدارمي في "سننه"، كتاب فضائل القرآن، باب: فضل من قرأ القرآن، رقم الحديث (٣٣٣١).

٢) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، رقم الحديث (٣٢).

٣) مقدمة التفسير لابن تيمية (ص٣٩) .

مشكلة البحث:

إن المطلع على تفسير الواحدي المسمى: "التفسير البسيط" يلحظ اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن، وتنوع إحالاته، وقد لا يهتدي إلى الأوجه التي استخدمها الواحدي للربط بين الآيات، وكذلك قد يخفى عليه المنهج الذي سار عليه الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن، وجاء هذا البحث لمعرفة منهج الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن وأساليبه في ذلك.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- يعد تفسير القرآن بالقرآن أحسن طرق التفسير، وأكثرها استعمالا، وقد أولاه المفسرون على مر العصور العناية الكبرى والاهتمام البالغ.
- مكانة الإمام الواحدي العلمية، وتميزه في التفسير واللغة على وجه الخصوص.
- القيمة العلمية العالية لـ "التفسير البسيط"، وماله من أثر واضح على ما ألف بعده من كتب التفسير.
- يعتمد هذا البحث على السبر والتقسيم والاستقراء والاستنباط والتحليل ما يكسب الباحث فوائد عديدة ودربة متنوعة.
- لم أجد دراسة تطبيقية مستقلة تعنى بإبراز منهج الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن.

أهداف البحث

- إبراز عناية الإمام الواحدي بتفسير القرآن بالقرآن.
- التعرف على ألفاظ الواحدي عند تفسير القرآن بالقرآن وإحالاته في ذلك.
- استنباط أوجه تفسير القرآن بالقرآن عند الواحدي من خلال سورتي الرعد وإبراهيم.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي.

الدراسات السابقة:

حظيت شخصية الإمام الواحدي وكتبه بدراسات علمية رصينة كثيرة منها ما يأتي:

- الواحدي ومنهجه في التفسير. د. جودة محمد المهدي. مصر: وزارة الأوقاف، ١٣٩٩هـ.

وهذه أول دراسة وصلتنا تحدثت عن الواحدي وتفاسيره بشكل مفصل، أجاد فيها المؤلف، وأبرز جوانب تميز الإمام الواحدي في التفسير، كما أشار لموضوع تفسير

القرآن بالقرآن عند الواحدي وأشاد به، إلا أنها كانت إشارة نظرية موجزة، ولم يُعْطَ الموضوع حقه من التتبع والتحليل.

- علوم القرآن عند الواحدي وأثرها في التفسير. لحمدان بن لافي العنزي، وهي رسالة (دكتوراه)، قدمت إلى قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، وقد نوقشت في عام (١٤٣٦ه).
- اختيارات وترجيحات الواحدي في التفسير جمعا ودراسة. للبندري بنت عبدالرحمن الهويمل، وهي رسالة (دكتوراه) قدمت إلى قسم القرآن وعلومه، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونوقشت في عام (١٤٣٩ه).
- استدراكات الواحدي على من سبقه من المفسرين، لحسن علي عريشي، وهي رسالة دكتوراه قدمت إلى قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، وقد نوقشت في عام (١٤٣٥ه) ــ
- مشكل القرآن في تفسير البسيط للواحدي جمعا ودراسة، لسلطان بن صغير العنزي، وهي رسالة دكتوراه، قدمت إلى كلية القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد نوقشت في عام (١٤٣٥هـ).

ومن المؤمل أن ينتظم البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وعدة فهارس على النحو الآتي:

– المقدمة

– التمهيد وفيه:

أولا: التعريف بالإمام الواحدي.

ثانيا: التعريف بالتفسير البسيط.

–المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن تعريف وتأصيل.

– المبحث الثاني: منهج الواحدي في إيراد تفسير القرآن بالقرآن.

–المبحث الثالث: أوجه تفسير القرآن بالقرآن في سورتي الرعد وإبراهيم.

- الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات.
- فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد:

أولاً: التعريف بالإمام الواحدي.

اسمه ونسبه وكنيته:

هو أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، النيسابوري، الشافعي [١].

ولادته:

ولد في نيسابور، وكان في سعة من الرزق؛ هيأت له أسباب التحصيل، ولم يُعرف على وجه التحديد تاريخ ولادته [٢].

طلبه للعلم ورحلاته:

نشأ الواحدي في نيسابور، والتحق بالكتُّاب[٣]، وأتم فيها حفظ القرآن والمبادئ الأولى من العلوم، ثم انضم إلى دار السُّنة [٤]، ليتلقى العلم عن علمائها، وبعد هذا انقطع لتعلم اللغة على شيوخ اللغة في وقته، ثم تفرغ للقراءة على الإمام: أبي إسحاق أحمد الثعلبي، وقرأ عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، من ضمنها تفسيره الكبير "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، ولشدة ملازمته إياه وتأثره به، عرف في الأوساط العلمية آنذاك بتلميذ الثعلبي[٥]، وكان كثير الترحال طلبا للعلم، وعبر عن تلك الرحلات بقوله: "ولو أثبتُّ المشايخ الذين أدركتهم، واقتبست عنهم هذا العلم، من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطئتها، طال الخطب ومل الناظر"[٦].

مذهبه الفقهي وعقيدته:

كان السائد في موطن الواحدي نيسابور آنذاك هو المذهب الشافعي في الفقه، والمذهب الأشعري [٧] في العقيدة، ولأن الانسان ابن بيئته، ولا يكاد ينفك عنها؛ ظهر ذلك على الواحدي بوضوح حيث كان شافعياً أشعرياً [٨].

---

١) وردت ترجمته في مصادر كثيرة منها على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٣٤٠)، إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٢/٢٢٣)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٣/٢٨٩)، طبقات المفسرين للسيوطي (١/٧٨). كما حظيت شخصية الواحدي بالعديد من الدراسات العلمية الحديثة والرسائل العلمية في الجامعات السعودية والإسلامية كما ذكر بعضها في الدراسات السابقة.

٢) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٣٤٠).

٣) الكُتَّاب: موضع تعليم الكتاب، وجمعه كتاتيب. انظر: الصحاح (١/٢٠٨).

٤) وهي مدرسة يدرِّس فيها كبار العلماء والمحدثين.

٥) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٠٤)، التفسير البسيط (١/٤٢٠-٤٢٩).

٦) مقدمة البسيط للواحدي (١/٤٢٥).

٧) الأشاعرة: فرقة إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري، تنتهج أسلوب أهل الكلام في تقرير العقائد والرد على المخالفين، انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٩٤-١٠٢).

٨) انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٢٤٠).

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

برز الواحدي في علوم كثيرة، وتصدر للتدريس في زمانه، وظهر تميزه في علوم القرآن، والتفسير، والنحو، واللغة، والأدب، واشتهر بها، وصار علما بارزا من أعلامها، وقد أثنى عليه في ذلك عدد من العلماء، منهم:

١- أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥ه) حين قيل له: "لم لا تصنف في التفسير؟ فقال: يكفي ما صنف فيه شيخنا الإمام أبو الحسن الواحدي" [١]. ولعل هذا التقدير من الغزالي هو ما جعله يسمّي كتبه الثلاثة في الفقه على أسماء التفاسير الثلاثة للواحدي.

٢- ابن خلكان (ت:٦١٨ه) فقد أثنى عليه، ووصفه بالأستاذ، قال: "كان أستاذ عصره في النحو والتفسير"[٢].

٣- القفطي (ت:٦٤٦ه) حيث قال: "الإمام المصنف، المفسر النحوي، أستاذ عصره، قرأ الحديث على المشايخ، وأدرك الإسناد العالي، وسار الناس إلى علمه، واستفادوا من فوائده، وصنف التفسير الكبير، وسماه "البسيط"، وأكثر فيه من الشواهد واللغة، ومن رآه علم مقدار ما عنده من العربية"[٣]

٤- الذهبي (ت:٧٤٨ه) قال عنه: "الإمام، العلامة، الأستاذ ... صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل ... كان طويل الباع في العربية واللغات ... تصدر للتدريس مدّة، وعظم شأنه..." [٤].

مؤلفاته:

برع الواحدي في عدد من العلوم، وله مؤلفات قيمة في التفسير واللغة والأدب والتاريخ وغيرها، تلقاها الناس بالقبول والاستحسان، وقال عنها ابن خلكان: "رُزق السعادة في تصانيفه، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم"[٥].

ومن أهم مؤلفاته: التفاسير الثلاثة [٦]:

١- البسيط: وهو أول تفاسيره وأكبرها، طُبع في خمسة وعشرين مجلدًا، قال في وصفه القفطي: "وصنف التفسير الكبير وسماه "البسيط"، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية..." [٧].

---

١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان لعبدالله اليافعي (٢/١٥٥).

٢) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٠٣).

٣) إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي (٢/٢٢٣).

٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/٣٤٠).

٥) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٠٣).

٦) وكلها مطبوعة متداولة، فطبع البسيط في خمسة وعشرين مجلدا محققا في رسائل دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وطبع الوسيط في أربع مجلدات بتحقيق: عادل أحمد وآخرون عن دار الكتب العلمية، والوجيز في مجلدين بتحقيق: صفوان عدنان عن دار القلم.

٧) إنباه الرواة للقفطي (٢/٢٢٣).

٢- الوسيط: الذي يعتبر وسطا بين البسيط والوجيز، قال في مقدمته: "وقديماً كنت أطالب بإملاء كتاب في تفسير وسيط، ينحط عن درجة البسيط الذي تجر فيه أذيال الأقوال، ويرتفع عن مرتبة الوجيز، الذي اقتصر فيه على الإقلال" (١).

٣- الوجيز: وهذا الكتاب على اسمه، وجيز في التفسير.

وله الكتاب المعروف في أسباب النزول، وهو أشهر كتبه، وله كذلك كتاب شرح ديوان المتنبي الذي يعتبر من أجود شروح الديوان، وغيرها (٢).

وفاته:

توفي الواحدي -رحمه الله- بعد مرض طويل ألم به، في جمادى الآخرة سنة ٤٦٨هـ بنيسابور (٣).

ثانيًا: التعريف بالتفسير البسيط.

تظهر أهمية هذا الكتاب من خلال ما للمؤلف من غزارة علمية، وما لكتابه "البسيط" من قيمة علمية عالية، فقد بلغ الواحدي مرتبة الإمامة في كثير من العلوم الشرعية.

وقد قدم الواحدي للأمة كتابه "التفسير البسيط" الذي أجاده وأبدع في عرض سائر علوم القرآن، فاعتنى بذكر معاني المفردات، وما يتعلق بها من لغة ونحو، وأورد القراءات السبع وبين أوجهها وعللها، وساق بترتيب بديع الأقوال والأوجه في التفسير، مع الموازنة بينها والترجيح، وذكر أسباب النزول، واستنبط ما تدل عليه الآيات من أحكام (٤).

وجمع الواحدي في تفسيره بين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأي، وقد بيّن التزامه في تقديم المأثور على الرأي في مقدمة كتابه "التفسير البسيط" حين قال: "وأبتدئ في كل آية عند التفسير بقول ابن عباس ما وجدت له نصًّا، ثم بقول من هو قدوة في هذا العلم من الصحابة وأتباعهم، مع التوفيق بين قولهم ولفظ الآية..." (٥).

لذلك يعتبر "التفسير البسيط" مصدرًا أصيلاً من تفاسير القرن الخامس الهجري، نقل منه كثير ممن جاء بعده من المفسرين.

وسأبين سبب تأليف الكتاب، ومنهجه فيه، وجوانب تأثر الواحدي بمن سبقه في التفسير وأثره فيمن جاء بعده.

---

١) مقدمة الوسيط للواحدي (١/٦).

٢) انظر: طبقات المفسرين للداوودي (١/٣٩٤).

٣) انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/٣٠٤).

٤) انظر: مقدمة البسيط للواحدي (١/١٤) وعلوم القرآن عند الواحدي وأثرها في التفسير للدكتور حمدان العنزي (ص ٢٧-٥٦)

٥) البسيط للواحدي (١/٢٧٠).

- سبب تأليفه: صرح المؤلف بسبب تأليفه للكتاب، حيث قال في مقدمة تفسيره: "فمنذ دهر تحدثني نفسي بأن أُعلق لمعاني إعراب القرآن وتفسيره فِقَراً [1] في الكشف عن غوامض معانيه، ونُكَتاً في الإشارة إلى علل القراءات فيه، في ورقات يصغُر حجمها ويكثر غُنمها..." [2].

إلا أن الواحدي رحمه الله قد توسع في التفسير حتى أصبح كتابه تفسيرا كبيرا، ولم يلتزم الاختصار الذي أشار إليه.

- منهجه في كتابه [3]:

١- منهجه في تفسير القرآن بالقرآن: اعتنى الواحدي بتفسير القرآن بالقرآن، فكثيرًا ما يورد آية لتفسير آية، وقد يورد الآيات الكثيرة للاستشهاد، خصوصًا في المسائل النحوية واللغوية، ويظهر ذلك بوضوح للمتأمل في تفسيره؛ إذ لا يكاد يغيب تفسيره للقرآن بالقرآن [4] .

٢- منهجه في تفسير القرآن بالسنة: أقل من تفسير القرآن بالسنة، وأورد أحاديث ضعيفة وموضوعة. وظهر تفسيره بالسنة في كتابه الآخر "الوسيط".

٣- منهجه في تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين: اعتمد على أقوال الصحابة والتابعين في التفسير واعتنى بها، وقدمها على غيرها، ونص على اعتماده قول ابن عباس في مقدمة تفسيره.

٤- منهجه في الاسرائيليات: أكثر من الاسرائيليات وأباطيلها، دون تنبيه عليها أو تعليق.

٥- منهجه في القراءات: اعتنى ببيان القراءات السبع وعللها؛ لأن هذا أحد بواعث الواحدي الرئيسة لتأليف تفسيره، فتوسع فيها حتى أخذت حيزًا كبيرًا، خصوصًا في مجال الاحتجاج لها.

٦- منهجه في علوم القرآن:

أسباب النزول: يذكر سبب نزول الآية -عند تعرضه لتفسيرها- إن وجد لها سبباً للنزول.

الوقف والابتداء: اعتنى بعلم الوقف والابتداء، وظهر ذلك في مواضع من كتابه مع بيان أثره في التفسير.

---

١) الفِقَر: خرزات الظهر، جمع فِقْرة، ويراد بها: جملة من كلام، أو جزء من موضوع. انظر: المعجم الوسيط (٦٧٩/٢).

٢) البسيط للواحدي (١/٣٩٣).

٣) استفدته من مقدمة الدكتور محمد الفوزان في كلامه عن منهج الواحدي في البسيط (١/٢٧٠-٣٢٧). ورسالة مشكل القرآن في تفسير البسيط للواحدي جمعاً ودراسة (ص ٥٥-٦٨)

٤) وفي الصفحات القادمة سترى ذلك بشيء من التفصيل .

الناسخ والمنسوخ: أولاه الواحدي عناية خاصة؛ حيث تكلم عنه بإفاضة، فذكر تعريفه وأنواعه والخلاف في بعضه، ولا يمر بتفسير آية ناسخة أو منسوخة ألا يقف عندها ويذكر ما قيل فيها.

المناسبات: اهتم ببيان الارتباط والمناسبات بين الآيات، ولا يتكلف ذلك.

٧- منهجه في المسائل العقدية، والرد على الفرق: قرر المذهب الأشعري في مسائل الاعتقاد، وكان من المنافحين عن أصول الأشعرية، وتصدى للرد على المعتزلة والقدرية؛ ذلك لأن المعركة الكلامية كانت قائمة على أشدها في تلك الفترة بين الأشاعرة من جانب، وبين المعتزلة والقدرية من جانب آخر.

٨- منهجه في المسائل الفقهية والأصولية: يعرض الواحدي للأحكام بصورة مختصرة، دون توغل في ذكر الفروع والمسائل التي لا صلة للآية بها إلا نادرًا، ويقرر الواحدي في عرض الأحكام المذهب الشافعي، ويشير إلى غيره في مواضع قليلة.

٩- منهجه في اللغة: يعد هذا الجانب أبرز الجوانب في تفسير الواحدي، وأوضحها للقارئ، ومنهجه فيه يقوم على بيان أصول الألفاظ القرآنية واشتقاقها وتصاريفها وما فيها من فروق لغوية مع الاعتناء بالألفاظ الغريبة وبيان مدلولاتها، ومن ثم ربط ذلك بتفسير الآية، ويوجه الأقوال ويرجح بينها.

وقد أفرغ كتابه كثيرًا مما جمعه ووعاه من مسائل النحو، حتى أصبح الكتاب أقرب إلى موسوعة نحوية منه إلى كتاب تفسير، كما جعل البلاغة مع النحو والأدب طريقًا إلى معرفة تفسير كلام الله، وأكثر من ذكر الشواهد الشعرية.

- تأثر الواحدي بمن سبقه في التفسير وأثره فيمن جاء بعده.

تلقى الواحدي العلم عن أئمة اللغة والنحو والتفسير ومعاني القرآن، والقراءات، لذلك كثرت مصادره في تفسيره، وأفاد من تلك المصادر كثيرًا، وذكر بعضها في مقدمة كتابه.

فمن أبرز مصادره التي تأثر بها في التفسير: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للطبري، فقد أكثر الواحدي النقل منه في الآثار والقراءات والمسائل اللغوية وغيرها، كما أنه كان يناقش الطبري فيما يورده من التفسير.

واستفاد الواحدي كذلك من "تفسير مقاتل بن سليمان" الذي نقل عنه بواسطة شيخه الثعلبي.

كما يعتبر تفسير "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" للثعلبي ومصادره الكثيرة من مصادر الواحدي الرئيسة، لاسيما وقد أخذ عنه التفسير، وظهر ذلك في مرويات الواحدي؛ حيث إن غالب ما في "البسيط" من المرويات مأخوذ من تفسير شيخه الثعلبي،

وأخذ عنه بعض الإسرائيليات، كما أنه ينقل كثيرًا قول الثعلبي في تفسير الآية وغالبا ما يذكره بعد قوله: قال المفسرون.

والمطلع على "التفسير البسيط" يلحظ أن النقل عن العلماء كان سمة بارزة فيه، ومع كثرة النقل إلا أنه ظهر ما كان يتمتع به الواحدي من مهارة في حسن انتقاء الكلام، وجودة الربط بين أجزائه، كما أن نقاشه للأقوال والترجيح بينها يُبين عن قوة عقلية وعلمية، وقد عبر الواحدي عن هذا النهج في مقدمة كتابه حين قال: "ولم يترك الأول للآخر شيئا، غير أن المتأخر بلطيف حيلته، ودقيق فطنته، يلتقط الدرر، ويجمع الغرر، فينظمها كالعقد على صدور الكعاب، يروق المتأملين ويؤنق الناظرين؛ فيستحق به في الأولى حمد الحامدين وفي العقبى ثواب رب العالمين" [1].

أما أثره فيمن جاء بعده: انتفع العلماء ممن جاء بعد الواحدي بهذا التفسير، واستشهدوا بما فيه، وأحالوا عليه، وغالب المستفيدين منه هم من العلماء وطلبة العلم المتمكنين في اللغة، أما غيرهم فهم مع "البسيط "كما قال الواحدي: "كمزاول غلقًا ضاع عنه المفتاح، ومتخبط في ظلماء ليل خانه المصباح" [2] ، فهو بذلك يُصرح بعدم مناسبته لكل أحد.

ومن أكثر المفسرين نقلا عنه وإفادة منه [3]:

- الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ه) وهو من أكثر المفسرين استفادة وتأثرا بالواحدي، وينقل عنه في تفسيره: "مفاتيح الغيب" كثيرا، ويصرح بذلك.
- أبو حيان الأندلسي (٧٤٥ه) وهو ينقل في تفسيره: "البحر المحيط"، من "التفسير البسيط"، ويصرح باسمه، ويذكره أحيانا بلا عزو، ويظهر لي أن الرازي كان واسطة بين أبى حيان والواحدي.
- السمين الحلبي (ت: ٧٥٦ه) تكرر ذكر اسم الواحدي في تفسير السمين الحلبي: "الدر المصون في علوم الكتاب المكنون"، مما يدل على اعتماد آرائه واختياراته.

---

١) مقدمة التفسير البسيط (١/٤١٦-٤١٧)

٢) مقدمة التفسير البسيط (١/٤٢٧)

٣) انظر: البسيط للواحدي (١/٣٤٨).

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن تعريف وتأصيل

المطلب الأول: المراد بتفسير القرآن بالقرآن، وأهم كتبه.

قبل الدخول إلى تعريف مصطلح تفسير القرآن بالقرآن لابد من تعريف كلمتي: (التفسير، والقرآن) لغةً واصطلاحًا.

أولًا. تعريف التفسير:

التفسير لغة: من الفسر، وأصل مادته يدل على الكشف والبيان والإيضاح، قال ابن فارس: "فسر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه"(١).

والتفسير اصطلاحًا: تنوعت عبارات العلماء في تعريف التفسير، وأحسن هذه التعريفات وأقربها إلى الصواب ما كان منطلقاً من المعنى اللغوي للتفسير، فما كان داخلًا في بيان القرآن فهو من التفسير، وما كان خارجًا عن نطاق البيان، فإنه غير داخل في معنى التفسير(٢).

وعليه فيمكن تعريف التفسير اصطلاحاً بأنه: "بيان معاني القرآن الكريم"(٣).

فيخرج منه ما كان زائدًا عن حد البيان، كالتوسع في المسائل الفقهية، والمسائل النحوية، والفوائد والاستنباطات، وغيرها مما يذكر في كتب التفسير، وليس له أثر في بيان المعنى.

ثانيًا: تعريف القرآن:

القرآن لغة: الراجح أن هذه اللفظة مهموزة ومشتقة، تدور مادتها (قرأ) على الجمع والضم (٤).

والقرآن اصطلاحًا: "هو كلام الله، المنزل على محمد ﷺ، بواسطة جبريل، المعجز بأقصر سورة منه"(٥).

ثالثًا: المراد بتفسير القرآن بالقرآن.

بعد التعرّف على المفردات التي يتكون منها مصطلح تفسير القرآن بالقرآن، يمكن تعريف مصطلح تفسير القرآن بالقرآن بأنه: بيان القرآن بالقرآن(٦).

---

١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٥٠٤).

٢) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم للدكتور مساعد الطيار (٢٧-٢٩).

٣) أصول في التفسير لابن عثيمين (ص٢٥).

٤) المفردات للراغب الأصفهاني -مادة فسر- (ص٦٦٨)، لسان العرب لابن منظور -مادة فسر- (٠/٢٦١١).

٥) قواعد التفسير للدكتور خالد السبت (١/١٢٦).

٦) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد بن محمد البريدي (ص١٩)، تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم للدكتور محسن المطيري (ص ٣٣) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور مساعد الطيار (ص١٢٧). علم أصول التفسير محاولة في البناء للدكتور مولاي عمر حماد (ص٦٨)

إلا أن المتأمل في طريقة الذين قصدوا تفسير القرآن بالقرآن، وكتبوا فيه، يدرك أنهم لم يقتصروا على ما فيه بيان لمعنى الآية، بل ذهبوا إلى ما هو أوسع من البيان؛ فأدخلوا فيه كل استفادة من آيات القرآن، كالاستشهاد، والاستدلال، وجمع أماكن ورود اللفظة القرآنية، وجمع الآيات المتشابهة في الموضوع الواحد وجمع ما يوهم الاختلاف[1].

ولهذا يمكن تقسيم مصطلح تفسير القرآن بالقرآن إلى قسمين:

الأول: المصطلح المطابِق لتفسير القرآن بالقرآن: ما تحقق فيه البيان عن شيء في الآية بآية أخرى.

ويمكن أن يدخل تحت هذا المصطلح: الآية المخصصة لآية عامة، الآية المبينة لآية مجملة، الآية المقيدة لآية مطلقة، تفسير لفظة غريبة في آية بلفظة أشهر منها في آية أخرى، تفسير معنى آية بآية أخرى.

الثاني: المصطلح الموسّع: كل ربط بين آيتين مما لم يتحقق فيه معنى البيان عن شيء في الآية بآية أخرى، فهو مصطلح مفتوح يشمل أمثلة كثيرة، فكل استفادة من آيات القرآن، يكون داخلا ضمن تفسير القرآن بالقرآن.

ومن أمثلة هذا النوع: الجمع بين ما يُتوهم أنه مختلف، وإتمام القصة، وجمع الآيات المتشابهة في موضوعها (التفسير الموضوعي)، وجمع موارد اللفظة القرآنية.

والذي يظهر أن المفسرين أوردوا في كتبهم كل ما له تعلق بالآيات من غير حصره بالبيان [2].

رابعًا: كتب التي ألفت في تفسير القرآن بالقرآن أو اعتنت به.

الباحث في التراث القرآني يجد بعض المصادر التي اقتصرت على تفسير القرآن بالقرآن ومنها

١- "مفاتح الرضوان فى تفسير الذكر بالآثار والقرآن". الصنعانى (ت:١١٨٢ه)

٢- "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"؛ للشنقيطي (ت:١٣٩٣ه)

٣- "تفسير القرآن بكلام الرحمن": للشيخ ثناء الله الآمرتسري، العالم الهندي، وهو تفسير على هامش المصحف، وقد طبع بمصر، وفيه تكلُّف كثير.

---

١) مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور مساعد الطيار (١٢٨-١٣١)، تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم للدكتور محسن المطيري (ص ٣٤) وانظر مقدمة تفسير أضواء البيان للشنقيطي (١/١٦-٣٦)

٢) انظر: تفسير القرآن بالقرآن للدكتور تأصيل وتقويم للدكتور محسن المطيري (ص٤٠) ومقالات في علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور مساعد الطيار (١٢٨-١٣١).

٤- "التفسير القرآني للقرآن": للدكتور عبد الكريم الخطيب، وهو ينحى منحى المدرسة العقلية، ومن ثم يميل للتأويل، ويردُّ بعض أخبار الآحاد التي تعارض القرآن حسب وجهة نظره ([1]).

كما أن كثيرا من كتب التفسير أورد هذا النوع من التفسير، إلا أن أبرز من اعتنى بتفسير القرآن بالقرآن من المفسرين: ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ه) فى "جامع البيان"، والبغوي في "معالم التنزيل"، وابن كثير (ت:٧٧٤ه) في "تفسير القرآن العظيم". ([2])

المطلب الثاني: طريقة الوصول إلى تفسير القرآن بالقرآن.

ينقسم التفسير باعتبار طريق الوصول إليه إلى قسمين هما: ما يكون طريق الوصول إليه الأثر (وهو التفسير بالمأثور)، وما يكون طريق الوصول إليه الاجتهاد (وهو التفسير بالرأي)[3].

وجعل كثير من العلماء (تفسير القرآن بالقرآن) من التفسير المأثور [4].

إلا أن هذا الرأي لا يصح دائما؛ لأن تفسير القرآن بالقرآن يعتمد أحيانا على اجتهاد المفسر، لذلك حرر بعض المعاصرين الكلام في هذه المسألة، وتوصلوا إلى أن لتفسير القرآن بالقرآن طريقين[5]:

- الأول: ما كان مستنده الوحي، فهو توقيفيٌّ لا اجتهاد فيه ولا نظر، وله صورتان:

الصورة الأولى: ما جاء صريحًا وواضحًا في القرآن الكريم نفسه، ولا ينازع أحد في كونه تفسيرا للقرآن، ويأتي بعده مباشرة، وقد يتأخر عنه أو يتقدم في سورة أخرى.

ومن أمثلته قوله تعالى: {وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢} [سورة الطارق:١-٢]، جاء بيان معنى الطارق في الآية التي تليها مباشرة فقال تعالى: {ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ} [سورة الطارق:٣]، فالطارق هنا كما بينته الآية: هو النجب الثاقب.

الصورة الثانية: ما جاء عن النبي ﷺ من تفسير آية بآية أخرى، وهو أيضا من التفسير بالمأثور؛ لأنه مسند إلى النبي ﷺ. ومثال ذلك: حين شق على صحابته ﷺ قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ} [سورة الأنعام:٨٢]، وقالوا: أيُّنا لا يظلم نفسَه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ: {يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ} [سورة لقمان:١٣]» [6].

---

١) معالم في أصول التفسير ناصر المنيع (ص ١٠٣) علم أصول التفسير محاولة في البناء للدكتور مولاي عمر بن حماد (ص ٨٢-٨٥)

٢) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية نظرية للدكتور محمد قجوي (ص٣١٧-٣٦٦) تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم للدكتور تأصيل وتقويم محسن المطيري (١٠٠-١٠٤)

٣) البرهان في علوم القرآن (٢/١٧٢).

٤) الزرقاني في مناهل العرفان (٢/١٢)، والذهبي في التفسير والمفسّرون (١/١١٢)، وغيرهما.

٥) انظر: تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم د.محسن المطيري(ص٧٧)،تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للبريدي(ص٢٠)شرح مقدمة في أصول التفسير للطيار(ص٢٧٥).

٦) أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، رقم الحديث (٣٢).

- الثاني: ما كان مستنده الرأي والاجتهاد:

وهو أن يعمد المفسِّر إلى الربط بين آية وآية، بحسب ما آتاه الله من حسن الاستنباط، ودقة ملاحظة المناسبات بين الآيات، وهذا من قبيل الرأي والاجتهاد الذي يخضع للنظر والمناقشة؛ لأنه قائم على جهد المفسِّر فهمًا واستنباطًا وتقريرًا.

ولا يُشكل على هذا أن عدّه بعض المصنفين تفسيرا مأثورا للقرآن بالقرآن، فذلك إنما هو بالنظر إلى المفسَّرِ به، وطريق وصوله إلينا، لا إلى عملية التفسير المعتمدة على الفهم والاجتهاد [1].

المطلب الثالث: حجية تفسير القرآن بالقرآن.

يقصد بحجية تفسير القرآن بالقرآن: هل يلزم قبول هذا النوع من التفسير والأخذ به، أو لا يلزم قبوله ولا الأخذ به؟! وقد تقدم الحديث عن أهمية تفسير القرآن بالقرآن، وتقرير العلماء أنه أصح طرق التفسير، إلا أن هذا الإطلاق يوهم القبول لكل ما ورد من تفسير للقرآن بالقرآن مطلقا بلا تقييد.

والواقع أن تفسير القرآن بالقرآن على مراتب وهي [2]:

١- ما جاء بينًا واضحًا صريحًا في تفسير القرآن بالقرآن، مما لا يحُتاج فيه إلى جهد المفسِّر، ولا يختلف عليه المفسرون، كتفسير الطارق بالنجم الثاقب؛ فهو حجة. وهو الذي اُصطلح عليه باسم (بتفسير القرآن للقرآن).

٢- ما ثبت عن النبي ﷺ من تفسير للقرآن بالقرآن، فهو حجة لأنه وحي.

٣- ما جاء عن الصحابة فهذا حكمه، حكم تفسير الصحابي [3]، فإن تفسير الصحابة له منزلة ومكانة، سواء كان من قبيل تفسير القرآن بالقرآن أو من غيره.

٤- ما جاء عن التابعين ومن بعدهم، فحكمه حكم تفسير التابعي أو من قال به.

وما أروع ما قاله الدكتور محمد محمد أبو شهبة في تلخيص القول في هذا الموضوع: "أما تفسير القرآن بالقرآن فهو لا غبار عليه، ولا اعتراض، وإنما يأتي الغلط من المفسر، بأن يفسر الشيء بما ليس بتفسير له عند التحقيق" [4].

---

١) انظر: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد البريدي (ص ٢١).

٢) انظر: تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية نظرية للدكتور محمد قجوي (ص٣٨٢)، وتفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد البريدي (ص ٢٢)، وتفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم للدكتور محسن المطيري (ص٧٥).

٣) انظر في حكم تفسير الصحابي والتابعي: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص١٠٠) وما بعدها. وتفسير الصحابة دراسة تطبيقية مقارنة زهرة الجريوي رسالة دكتوراه (ص ٢٨-٤٤)

٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (ص٨٤).

المبحث الثاني: منهج الواحدي في إيراد تفسير القرآن بالقرآن.

المطلب الأول: ألفاظ الواحدي قبل إيراد الآية المفسرِّة.

تنوعت ألفاظ الواحدي –رحمه الله– عند سياق الآية المفسِّرة، فيذكر الألفاظ الآتية: (ومثله) و(نحو قوله) و(ومنه) و(كقوله) و(اعتبروا هذا بقوله)، وغيرها من الألفاظ التي تدل على أنه سيفسر الآيةَ بآيةٍ أخرى من القرآن.

وقد حاولت الوصول إلى غايته من إيراد كل لفظ على وجه الخصوص، إلا أنه لم يتبين لي قاعدة مطردة في استعمال كل لفظ، والذي ظهر لي –والله أعلم– أنه يكتب اللفظ الذي يخطر بباله من غير قصد لمعنى محدد من إيراد هذا اللفظ في هذا الموضع.

وقد تتبعت ألفاظه التي استعملها في إيراد الآية المفسِّرة في سورتي الرعد إبراهيم، ووجدتها تربو على خمسة عشر لفظا، ورأيت أن أذكر بعضها وأمثل عليه.

١- لفظ [ومثله].

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: {فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ} [سورة الرعد:٢٤].: ... ومثله قوله {بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ} [سورة الجمعة:٥] (١) .

وعند قوله {وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُ} [سورة إبراهيم:٣٤] قال: "قال أبو علي: المفعول محذوف تقديره من كل مسؤول شيئًا أو مسؤولًا أو نحو ذلك ، ومثله قوله: {يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ} [سورة البقرة:٦١] أي: شيئًا، فحذف المفعول، وكذلك قوله: {وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ} [سورة النمل:١٦].. " (٢).

وعند تفسيره لقوله تعالى: {مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٞ} [سورة إبراهيم:٣١]، قال الواحدي: " ... ومثله قوله: {يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞ} [سورة البقرة:٢٥٤] ..." (٣).

٢- لفظ [ومنه]

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى: {۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ} [سورة الرعد:٣٥]: "... فجعلوا الخبر عن الدنيا خبرا عن الكاف، ومنه قوله تعالى {وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ} [سورة البقرة:٢٣٤] (٤) .

---

١) التفسير البسيط (١٢/٣٤٣)

٢) التفسير البسيط (١٢/٤٨٠).

٣) التفسير البسيط (١٢/٤٧٨).

٤) التفسير البسيط (١٢/٣٧٠)

وعند قوله تعالى {وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [سورة إبراهيم:١٥] قال: "... ومعنى الجبّار هاهنا: المتكبر عن طاعة الله وعبادته، ومنه قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا} [سورة مريم:١٤] ..." [١].

٣- لفظ: [وهو قوله].

قال الواحدي تفسير قوله تعالى: "{أَوَ لَمْ تَكُونُوٓاْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ} [سورة إبراهيم:٤٤] قال مجاهد: أي من انتقال عن الدنيا إلى الآخرة [٢]؛ أي لا تبعثون. قال ابن عباس: «يريد حلفتم في الدنيا أنكم لا تبعثون»[٣]، وهو قوله: {وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ} [سورة النحل:٣٨]..." [٤].

٤- لفظ [كقوله].

قال الواحدي عند تفسير قوله تعالى {لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ} [سورة الرعد:١٤]. قال: "... الدعوة على هذا التفسير يريد بها الدعوات؛ فاكتفى من الجميع بالواحد كقوله {وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ} [سورة التحريم:٤]" [٥] .

وعند تفسيره لقوله تعالى {أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ} [سورة الرعد:٣١]. قال: "... والحديث على تقدير أنه لو يشاء كقوله {عَلِمَ أَن سَيَكُونُ} [سورة المزمل:٢٠]" [٦] .

٥- لفظ [واعتبروا].

قال الواحدي في تفسيره لقوله تعالى: { فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ } [سورة إبراهيم:٩]، "اختلفوا في تأويل هذه؛ فقال ابن مسعود: «عضُّوا عليها غيظًا»[٧]، والمعنى: سَبُّوا الرسلَ وأبغضوهم وثقل عليهم مكانهم، وعضُّوا على أصابعهم من شدة الغيظ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء وابن زيد[٨] وابن قتيبة[٩]، واعتبَروا هذا بقوله: {وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ} [آل عمران: ١١٩] ..."[١٠].

فساق الآية الثانية تأييدا لقول جمع من المفسرين في بيان معنى الآية الأولى [١١].

---

١) التفسير البسيط (١٢/٤٢٥).

٢) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣/٢٤٢) .

٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٤/٣٧٢).

٤) التفسير البسيط (١٢/٥٠٥).

٥) التفسير البسيط (١٢/٣٢٢)

٦) التفسير البسيط (١٢/٣٥٦)

٧) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣/١٨٨) .

٨) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣/١٨٨-١٨٩) عن ابن عباس من طريق، وعن ابن زيد.

٩) غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٢٣٥).

١٠) التفسير البسيط (١٢/٤١١).

١١) انظر: قواعد التفسير للدكتور خالد السبت (١/١٣٩) وتفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد البريدي (ص٥٧).

وهذا اللفظ [اعتبروا] من الألفاظ النادرة التي أوردها الواحدي عند سياق الآية المفسِّرة، وذكره من باب الاستشهاد والاستدلال لكلام السلف بآية أخرى، لا من باب الحث على الاعتبار، وجاء في موضعين من "التفسير البسيط"؛ الأول هو المذكور في سورة إبراهيم، والثاني في سورة الفرقان [1].

ومما يذكره الواحدي من الألفاظ عند إيراد الآية المفسِّرة في تفسيره لسورتي الرعد وإبراهيم أيضا ما يأتي:

"والدليل على ذلك" و "في نحو" و"ونظير هذه الآية" و"كما قال"، و"نحو قوله"، و"وهو معنى قوله"، و"وقال في سورة"، و"وهذا خلاف قوله"، و "قد فُسر به قوله" وغيرها.

المطلب الثاني: منهج الواحدي في سياق الآية المفسِّرة.

أعطى الإمام الواحدي النص القرآني سلطاناً واسعاً في تفسير بعضه ببعض، فأورد عند تفسيره الآيات، آيات أخرى تفسرها وتشرحها وتبينها.

وقد كان للواحدي منهج واضح في سياق الآية المفسِّرة، وهو كالآتي:

١- لم يذكر الواحدي اسم السورة عند سياقه للآية المفسِّرة ولا رقمها، واكتفى بذكرها من غير عزو شأنه شأن العلماء [2] .

أما في الإحالات فيشير الواحدي أحيانا للآية واسم السورة، ومثال ذلك عند قوله تعالى: {وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ} [سورة إبراهيم:٣٧] قال: "ذكرنا تفسيره في سورة البقرة عند قوله: {وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ} [البقرة ١٢٦]" [3]. وأحيانا يذكر اسم السورة فقط، ومثال قال: "وقوله {يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ} [سورة الرعد:٣] ذكرناه في سورة الأعراف" [4]، وقد يذكر الآية فقط، وهو الأكثر ، ومثاله ما قاله عند تفسير قوله تعالى : {وَيُنشِئُ} [سورة الرعد:١٢] : "وقد مر ذكره في قوله {وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ} [سورة الأنعام:١٤١]" [5] .

وقد لا يذكر في الإحالة الآية ويكتفي بمعناها أو موضوعها [6] .

٢- اكتفى الواحدي غالبا عند سياقه للآية المفسِّرة على الشاهد من الآية، ولا يذكر الآية كاملة.

---

١) التفسير البسيط (١٦/٤٢٤) آية رقم: (١٢).

٢) وقام محققو الكتاب بعزو الآيات المستشهد بها إلى مواضعها من القرآن في المتن بعد ذكرها مباشرة، وجعلوها بين معقوفتين.

٣) التفسير البسيط (١٢/٤٩٠).

٤) التفسير البسيط (١٢/٢٨٧)

٥) التفسير البسيط (١٢/٣١٢)

٦) التفسير البسيط (١٢/٣٥٧)

٣- ينقل الواحدي تفسير القرآن بالقرآن عمن سبقه من العلماء، وخصوصا الزجاج([1]) وأبو علي الفارسي ([2]) وغيرهما.
٤- تأتي الآية المفسِّرة بعد بيان معنى الآية المفسَّرة.
٥- لم يكتف الواحدي عند تفسيره للآيات بذكر شواهد لها من القرآن، بل يورد أقوال المفسرين والنحويين في تفسيرها ويستشهد لهم بالقرآن على صحة كلامهم وآرائهم.
٦- يذكر الواحدي غالبا الأقوال التفسيرية واللغوية قبل سياق الآية المفسِّرة، وفي النادر يبدأ بالآية ثم يتبعها بالأقوال.
٧- في الغالب أن الواحدي لا يتعرض لبيان معنى الآية المفسِّرة، ويكتفي بذكرها.
٨- رجعت إلى مواطن بعض الآيات المفسِّرة من كتاب "التفسير البسيط"، فلم أجد أنه ذكر هناك الآية المفسَّرة.
٩- مما يجب الإشارة إليه أن الواحدي لا ينص على وجه تفسير القرآن بالقرآن عند إيراده للآية المفسِّرة، بل يكتفي بالروابط اللفظية المشار إليها سابقا، لكن هذه الأوجه تستنبط من طريقته.

المطلب الثالث: منهج الواحدي في الإحالات.

إن المطالع لتفسير الواحدي -رحمه الله- يلحظ أنه أحيانا لا يفسر الآية في موضعها، بل يحيل في بيان معناها إلى تفسيره لآية أخرى في سورة أخرى، وقد تكون في نفس السورة.

والواحدي له منهج متفرد في إحالاته يحسن أفراده بالدراسة، وإنما قصدت في هذا المطلب الإشارة الموجزة إلى أسلوبه في هذه الإحالات عند تفسير الآيات القرآنية، سواءً كانت الإحالة إلى آية متقدمة للآية المفسَّرة، أو متأخرة عنها.

ومن خلال قراءتي وتحليلي لأسلوب الواحدي في الإحالات، اتضح لي أنه لم يتبع منهجا واحدا في كل الآيات المفسَّرة، فأحيانا يفسر الآية في أول ورود لها، ثم يحيل عليها فيما بعدها من مواضع، وأحيانا يفسرها في كلا الموضعين، ولكن يكون في أحد الموضعين زيادة بيان عن الأخرى، وقد تكون الزيادة والبسط في الموضع المتقدم وقد يكون في الموضع المتأخر. وفيما يأتي تفصيل وبيان:

---

١) انظر مثلا التفسير البسيط (١/٣١٢)
٢) انظر مثلا التفسير البسيط (١/٣٣٥)

الصورة الأولى: أن يذكر الآية ولا يبين معناها، ويحيل في تفسيرها على آية متقدمة.
قال الواحدي في تفسير قوله تعالي {وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ} [سورة الرعد:١٣]: "ذكرنا معنى الصواعق في سورة البقرة"(١). ويقصد بذلك قوله تعالى {يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ} [سورة البقرة:١٩]. وقد أطال الواحدي التعريف بالصواعق ومعناها عند آية سورة البقرة (٢).
وفي تفسيره لقوله تعالى: {مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ} [سورة إبراهيم:٢١]، قال: "ذكرنا معنى المحيص في قوله: {وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} [سورة النساء:١٢١]"(٣).
وفي سورة النساء فسرها بقوله: "{وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا} [سورة النساء:١٢١]، يحتمل وجهين: أحدهما: لا بد لهم من ورودها. والثاني: التخليد الذي أوعد به الكفار، فلا يخرجون عنها، ولا يجدون منها ملجأ. والمحيص: «المعدل، حاص عن الأمر إذا عدل عنه»(٤) ..."(٥).
فهنا في قوله تعالى: {مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ} [سورة إبراهيم:٢١]، لم يبين الواحدي تفسير الآية بأي شيء، إنما أحال على موضع قبله ذكر فيه التفسير، ويكون هذا غالبا في بيان معاني الألفاظ.
الصورة الثانية: أن يذكر الآية ويبين معناها موجزا، ويحيل على موضع بسط فيه القول في تفسيرها.
قال الواحدي عند تفسير قوله تعالى {تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ } [سورة الرعد:١]: "ويجوز أن تكون (تلك) بمعنى هذه، وقد ذكرنا جواز ذلك عند قوله {الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ } [سورة البقرة:١-٢]" (٦).
وعند تفسيره لقوله تعالى: {رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى} [سورة إبراهيم:٤٠]، "قال الزجاج: «أي: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة» (٧)، وهذا كما ذكرنا في قوله: {رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى} [سورة إبراهيم:٧٣]"(٨). فبين في هذا الموضع معنى الآية باختصار. وكان قد بسط القول في الموضع الأول من السورة فقال": {رَّبَّنَآ إِنِّىٓ

١) التفسير البسيط (١٢/٣١٥)
٢) التفسير البسيط (١/٢٤٥)
٣) التفسير البسيط (١٢/٤٤٩).
٤) معاني القرآن للنحاس (٢/١٩٧).
٥) التفسير البسيط (٧/١٠٦).
٦) التفسير البسيط (١٢/٢٧٩)
٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٦٥).
٨) التفسير البسيط (١٢/٤٩١).

أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي } [سورة إبراهيم:٣٧].:"قال الفراء: «ولم يأت منهم بشيء يقع عليه الفعل، وهو جائز أن يقول: قد أصبنا من بنى فلان، وقتلنا من بني فلان، وإن لم يقل رجالاً؛ لأن (من) تؤدّي عن بعض القوم؛ كقولك: قد أصبنا من الطعام وشربنا من الماء، ومثله: {أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ } [سورة الأعراف:٥٠][1]..."[2]. إلى آخر ما قال.

فظهر من خلال هذين المثالين أنه أتى بمعنى الآيتين مختصرًا موجزًا، ثم أحال إلى موضعين آخرين قد ذكر فيهما تفسيرا مبسوطا.

ويتكرر هذا في كثير من الإحالات فإما أن يحيل التفسير والبيان إلى آية متقدمة، أو آية متأخرة بسط القول في تفسيرها.

١) معاني القرآن للفراء (٢/٧٨).
٢) التفسير البسيط (١٢/٤٨٧).

المبحث الثالث: أوجه تفسير القرآن بالقرآن في سورتي الرعد وإبراهيم.

لم يصرح الواحدي –كما ذُكر سابقا– بأي وجه أو نوع من أنواع تفسير القرآن بالقرآن، ولكن الباحث قد تستنبط بعض الأوجه من صنيع الواحدي وتطبيقاته.

وهي أوجه اجتهادية ذكرها بعض العلماء والباحثين. أذكر منها ما يأتي:

الوجه الأول: جمع الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد [١].

المثال الأول:

قال الواحدي عند تفسير قوله تعالى {مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ} [سورة الرعد:٣٥]: "وقال[٢] المثل في الآية بمعنى الشبه، وتعلق قوله {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} بما قبله على وجه التفسير له، كما أن قوله {خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ} بعد قوله {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ} [سورة آل عمران:٥٩] تفسير للمثل كما أن قوله {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ} [سورة المائدة:٩].الجملة الثانية تفسير للوعد، ومن ذلك قوله {يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ} [سورة النساء:١١]. الجملة الثانية تفسير للوصية، وكذلك {فِيهَآ أَنْهَٰرٌ} [سورة محمد:١٥]. و{تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ} [سورة الرعد:٣٥] تفسير للمثل، ومثله قوله {مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ} [سورة إبراهيم:١٨]. فقوله {أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ } تفسير للمثل" [٣] .

الشرح والبيان:

ساق الواحدي مجموعة من الآيات الكريمة ليثبت تكرر أسلوب من أساليب القرآن، وهو أن تأتي الجملة الثانية في الآية مُفسرة وموضحة للجملة الأولى، كما قرن بتفنن بين آية سورة الرعد وآية سورة محمد للتشابه اللفظي بينهما.

موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع

عند الرجوع إلى بعض كتب التفسير نجد مثلا أن الطبري (ت:٣١٠ه) اختار القول بأن المثل هنا بمعنى الصفة، لكنه لم يسق الآيات السابقة ليبين صحة اختياره [٤]. وكذلك لم يذكر الثعلبي (ت:٤٢٧ه) شيئاً من هذه الآيات [٥]، وأورد القرطبي (ت:٦٧١ه) قول

١) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد البريدي (ص٦٠). علم أصول التفسير محاولة في البناء للدكتور مولاي عمر بن حماد (ص٦٧)

٢) يعني أبا علي الفارسي.

٣) التفسير البسيط (١٢/٣٦٥)

٤) جامع البيان (١٣/٥٥٤)

٥) الكشف والبيان (١٥/٣٠٩)

أبي علي الفارسي؛ ولكنه لم يذكر الآيات[1]، واكتفى ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) بإيراد آية سورة محمد[2].

المثال الثاني:

قال الواحدي: "معنى الاستحباب: طلب محبّة الشيء بالتعرُّض إلفًا، ودخلت (على) في قوله: {عَلَى الْآخِرَةِ} [سورة إبراهيم:٣] لأن معنى يستحبُّون هاهنا: يؤثرون ويختارون، فكأنَّه قيل: يُؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، قال ابن عباس: «يريد ما يُعجَّل لهم من الدنيا، وإن كان حرامًا أخذوه تهاونًا بأمر الآخرة» [3]، مثل قول: {إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} [الإنسان: ٢٧]"[4].

وبهذا يكون تفسير هذا الموضع بهذه الآية داخل في تفسير القرآن بالقرآن توسعًا؛ لأنه لم يترتب عليه زيادة معنى.

الشرح والبيان:

فسر الواحدي –رحمه الله– قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ} [سورة إبراهيم:٣]، بقوله تعالى: {إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ} [سورة الإنسان:٢٧]، استدلالاً بكلام ابن عباس في شرح الآية، حيث قال فيها: "يُريدُ ما يعجل لهم في الدنيا وإن كان حراما أخذوه تهاونا بأمر الآخرة[5]"، فربط الواحدي بين الآيتين لهذا المعنى، لأن فيهما بيان للصفات التي جرّت الكافرين إلى النار، وهي زهدهم في الآخرة وانصرافهم عنها، واستمتاعهم بالحياة الدنيا.. فهم يحبون ما حصلوه في الدنيا معجلا، غافلين عما ينتظرهم في الآخرة،

وفي قوله تعالى: {إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ} [سورة الإنسان:٢٧]، إشارة إلى تسمية الدنيا بالعاجلة، وفيها بيان للفرق الشاسع بين الدنيا العاجلة الفانية، والآخرة الباقية الدائمة.

ويستفاد من هذا النص أيضا: محاولة جمع النظائر عند تفسير القرآن بالقرآن؛ وذلك بتعداد أسماء الدنيا.

---

١) الجامع لأحكام القرآن (٨٠/١٢)

٢) تفسير القرآن العظيم (٨/١٥٥)

٣) ورد في التفسير البسيط للواحدي (١٢/٣٥٨)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/٥٠٤).

٤) التفسير البسيط للاحدي (١٢/٣٩٨).

٥) ورد في زاد المسير لابن الجوزي (٤/٣٤٥).

- موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع:

لم يذكر المفسرون : الطبري [١]، والثعلبي [٢]، والقرطبي [٣]، وابن كثير [٤]، والشنقيطي (ت:١٣٩٣)[٥]، قوله تعالى: {إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ} [سورة الإنسان:٢٧]، عند تفسير قوله: {ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ} [سورة إبراهيم:٣].

أما الواحدي فقد أورد الآية الثانية في تفسير الآية الأولى، في حين لم يفعل ذلك بقية المفسرين. وقد رجعت إلى مواضع تفسير آية سورة الإنسان عند العلماء المذكورين، ولم يتعرضوا لتفسيرها بآية سورة إبراهيم أيضا.

الوجه الثاني: تفسير معنى آية بمعنى آية أخرى [٦].

المثال الأول

قال الواحدي عند قوله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ} [سورة الرعد:١١]:"أي لا يسلب قوما نعمة حتى يعملوا بمعاصيه، قال ابن عباس: يريد العذر فيما بينه وبين خلقه، ويعني بهذا أهل مكة [٧]، كما قال الله تعالى {أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ} [سورة إبراهيم:٢٨] [٨] .

الشرح والبيان:

وقد استدل الواحدي بقوله تعالى: "ألم تر إلى الذين بدلوا نعمت الله ... " على بيان أن معنى التغيير مقارب لمعنى تبديل النعمة وأن الأمرين يقعان بسبب عمل المعاصي.

موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع

لم يذكر الطبري[٩] والثعلبي[١] وابن كثير[٢] الآية المفسِّرة، وفسر القرطبي الآية المستشهد لها مطولا؛ ولكنه لم يذكر الآية المفسرِّة[٣]، وعند الرجوع إلى تفسير آية سورة إبراهيم عند هؤلاء الأئمة لم يذكروا آية سورة الرعد[٤].

---

١) جامع البيان للطبري (١٣/٥٩١).

٢) الكشف والبيان للثعلبي (١٥/٣٥٤).

٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/١٠٤).

٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/١٧٦).

٥) لم يورد الشنقيطي تفسيرا لهذه الآية. وقد اكتفيت في أمثلة هذا البحث بالمقارنة مع هؤلاء المفسرين الخمسة لمزيد اعتنائهم بتفسير القرآن بالقرآن، وه ممن تقدم على الواحدي وجاء بعده

٦) قواعد التفسير للدكتور خالد السبت (١/١٣٩).

٧) رواه عن ابن عباس أبو الشيخ في تفسيره كما عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور (٨/٣٩٠) بلفظ: "قال لا يغير ما بهم من النعمة حتى يعلموا بالمعاصي فيرفع الله عنهم النعم". وهذا السياق مستقيم والذي يظهر لي أن الصواب في كتاب "التفسير البسيط" ما يأتي: "أي لا يسلب قوما نعمة حتى يعملوا بمعاصيه، **قاله** ابن عباس، يريد العذر فيما بينه وبين خلقه، ويعني بهذا أهل مكة" وبذلك يكون قول ابن عباس قد تقدم اسمه، وأما قوله: "يريد العذر فيما بينه وبين خلقه ويعني بهذا أهل مكة". من كلام الواحدي.

٨) التفسير البسيط (١٢/٣١١)

٩) جامع البيان (١٣/٤٧١)

المثال الثاني:

قال الواحدي عند تفسير قوله تعالى {فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ} [سورة إبراهيم:٩]: "اختلفوا في تأويل هذه؛ فقال ابن مسعود: «عضُّوا عليها غيظًا» [٥]، والمعنى: سَبُّوا الرسلَ وأبغضوهم وثقل عليهم مكانهم، وعضُّوا على أصابعهم من شدة الغيظ، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء وابن زيد[٦] وابن قتيبة [٧]، واعتبَروا هذا بقوله: { وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ} [آل عمران: ١١٩]..." [٨].

الشرح والبيان:

ساق الواحدي أقوالا مختلفة في معنى رد اليد إلى الفم في قوله تعالى: { فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ } [سورة إبراهيم:٩]، منها أن المراد به: العض على الأيدي غيظًا، استنادًا على قول ابن مسعود وابن عباس في تفسير الآية، ثم استدل لقولهم بقوله تعالى: { وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ} [سورة آل عمران:١١٩]

فأراد الواحدي بيان معنى الآية، وتوضيح قول السلف فيها؛ بالرجوع إلى آية أخرى تبين معناها، وتدعم قول ابن عباس وابن مسعود.

- موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع:

وجدت أن عددا من المفسرين جعلوا قوله تعالى: {وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ} [سورة آل عمران:١١٩]، مفسرة لقوله: {فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ} [سورة إبراهيم:٩]، وإليك بعض نصوصهم:

وافقه الإمام الطبري –رحمه الله– فرجح هذا المعنى للآية، وقال: "... أشْبه هذه الأقوال عندي بالصواب القول الذي ذكرناه عن عبدالله بن مسعود أنهم ردوا أيديهم في أفواههم، فَعَضُّوا عليها غيظا على الرسل، كما وصف الله عز وجل به إخوانهم من المنافقين فقال: {وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} [آل عمران: ١١٩]" [٩].

=١) الكشف والبيان (١٥/٢٤٧)

٢) تفسير القرآن العظيم (٨/١١٨)

٣) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٣٢)

٤)جامع البيان (١٣/٦٦٨) الكشف والبيان (١٥/٣٩٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٤٠) تفسير القرآن العظيم (٨/٢١٩)

٥) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣/٦٠٥)

٦) أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣/٦٠٦-٦٠٧) عن ابن عباس، وعن ابن زيد.

٧) الغريب لابن قتيبة (ص ٢٣٥).

٨) التفسير البسيط (١٢/٤١١).

٩) جامع البيان للطبري (١٣/٦٠٩).

وذكر هذا المعنى الثعلبي وقال: "... «قال عبدالرحمن بن زيد، وقرأ: {عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} [آل عمران: ١١٩]» " [١].

واختاره القرطبي وقال: "... أَيْ جَعَلَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ أَيْدِيَ أَنْفُسِهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ لِيَعَضُّوهَا غَيْظًا، ممَّا جَاءَ بِهِ الرُّسُلُ، إِذْ كَانَ فِيهِ تسفيه أَحلامهم، وشتم أصنامهم، قاله بن مَسْعُود، وَمِثْلُهُ قَالَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ، وقرأ: {عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} [آل عمران: ١١٩] "[٢].

وأورده ابن كثير فقال: "... قَالَ: عَضُّوا عَلَيْهَا غَيْظًا، وَقَدِ اخْتَارَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَوَجَّهَهُ ابْنُ جَرِيرٍ مُخْتَارًا لَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَإِذا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمْرَانَ: ١١٩]"[٣].

ومن المحتمل أن الواحدي قد يكون تأثر بأقوال الطبري والثعلبي في تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموطن، وقد سبقهم جميعا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

الوجه الثالث: تفسير لفظ في الآية بلفظ في آية أخرى [٤].

المثال الأول:

قال الواحدي عند قوله تعالى {نَفۡسٖۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ} [سورة الرعد:٤٢].قال أبو علي : ومن قرأ (الكافر) جعله اسما شائعا كالإنسان في قوله {إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ } [سورة العصر:٢] " [٥] .

- الشرح والبيان

استدل الواحدي على قول أبي علي الفارسي في توجيه قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير[٦] في أن الكافر هنا اسم شائع يشمل جنس الإنسان كما في آية سورة العصر. والمثال يدخل أيضا في بعض الوجوه مثل: الاستدلال بالآيات على أقوال المفسرين، وكذلك وجه: الاستدلال على صحة القراءة. وبذلك يمكن أن نقول: إن الواحدي قد أراد باستشهاده بآية سورة العصر أكثر من غرض في تفسير آية سورة الرعد.

١) الكشف والبيان للثعلبي (٥/٣٠٧)، وأخرج قول ابن زيد الطبري في "جامع البيان" (١٣/٦٠٦).
٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/١١١).
٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/١٨٢)
٤) قواعد التفسير للدكتور خالد السبت (١/١٣٩).
٥) التفسير البسيط (١٢/٣٨٦)
٦) السبعة لابن مجاهد (ص٣٥٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب (٢/٢٣)

- موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع

أشار الطبري (١) والثعلبي(٢) والقرطبي (٣) وابن كثير (٤) إلى الخلاف في القراءة؛ لكنهم لم يذكروا الآية التي أوردها الواحدي.

المثال الثاني:

قال الواحدي: "قوله تعالى: {مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ} [سورة إبراهيم:١٦] قال ابن عباس والمفسرون: «يريد أمامه جهنم بين يديه»(٥)، ... ومن هذا قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ} [سورة الكهف:٧٩]، أي: أمامهم(٦)، ويقال: الموت من وراء الإنسان، أي: أمامه، ... وبقي شيء من الكلام في (وراء) سنذكره عند قوله: {وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ} [سورة الكهف:٧٩]، إن شاء الله" (٧).

وقال في تفسيره لآية الكهف: "... ووراء بمعنى: أمام، ورد كثيرًا في التنزيل والشعر، فمن ذلك قوله تعالى: {وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظ} [سورة إبراهيم:١٧]، {وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ} [سورة المؤمنون:١٠٠]" (٨).

الشرح والبيان:

أراد الواحدي بيان لفظة (وراء) في قوله تعالى: {مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ} [سورة إبراهيم:١٦].، بلفظة (وراء) في قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ} [سورة الكهف:٧٩]؛ لظهور معناها، حيث إن الملك كان أمام أصحاب السفينة، وفي انتظارهم، وسيقابلونه بعد خرقهم للسفينة.

ومع أن الواحدي بيّن عند تفسير الآيتين أن هذه الكلمة من الألفاظ المشتركة، التي تأتي بمعنى خلف وقدام وبعد (٩)، إلا أنه أراد الانتصار لقول من جعل لفظ (وراء) هنا بمعنى أمام استنادا إلى آية أخرى.

وتفسير هذا الموضع بهذه الآية داخل في تفسير القرآن بالقرآن مطابقة؛ لتوضيحه المعنى المقصود بالآية.

---

١) جامع البيان (١٣/٥٨١)
٢) الكشف والبيان (١٥/٣٤١)
٣) الجامع لأحكام القرآن (١٣/٩٨)
٤) تفسير القرآن العظيم (٨/١٧٠)
٥) انظر جامع البيان (١٣/٦١٧) الكشف والبيان (١٥/٣٦٣)
٦) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/١٥٧).
٧) التفسير البسيط (١٢/٤٣٠).
٨) التفسير البسيط (١٤/١١٣).
٩) ورد الكلام عنها بتفصيل في التفسير البسيط (١٢/٤٣٠).

وقد استدل الواحدي ومن قبله من المفسرين بآية أخرى في بيان معنى (وراء)، وهي قوله تعالى: {وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ} [سورة المؤمنون:١٠٠]، واستدلوا كذلك بقراءة ابن عباس الشاذة "وكان أمامهم ملك"[١].

موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع:

قال الطبري : "... وَوَرَاءَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: يَعْنِي أَمَامَ، ... وَكَانَ بَعْضُ نَحْوِيِّي أَهْلِ الْبَصْرَةِ يَقُولُ: إِنَّمَ: {مِنْ وَرَائِهِ} [إبراهيم: ١٦] بمعنى مِنْ أَمَامِه، لِأَنَّهُ وَرَاءَ مَا هُوَ فيه، كَمَا يَقُولُ لَكَ: وَكُلُّ هَذَا مِنْ وَرَائِكَ: أَيْ سَيَأْتِي عَلَيْكَ، وَهُوَ مِنْ وَرَاءِ مَا أَنْتَ فِيهِ؛ لِأَنَّ مَا أَنْتَ فِيهِ قَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: {وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف: ٧٩] مِنْ هَذَا الْمَعْنَى: أَيْ كَانَ وَرَاءَ مَا هُمْ فِيهِ أَمَامَهُمْ..." [٢] .

وقال الثعلبي: "وَقَوْلُهُ: {مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ} أي أمامه وقدّامه؛ كما تقول: إن الموت من ورائك، قال الله عز وجل: {وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ} [سورة الكهف:٧٩] " [٣].

ووافقهم ابن كثير فقال: "وَقَوْلُهُ: {مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ} [سورة إبراهيم:١٦] وراء هنا بمعنى أمام، كقوله تَعَالَى: {وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [سورة الكهف:٧٩]، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَؤُهَا: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ»، أَيْ مِنْ وَرَاءِ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ جَهَنَّمُ، أَيْ هِيَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ "[٤].

ويظهر من خلال ما تقدم أن المفسرين بمن فيهم الواحدي بينوا لفظ (وراء) بآية كريمة ورد فيها لفظ وراء، والذي لا يحتمل تفسيره إلا بمعنى (أمام).

الوجه الرابع: بيان المراد من اللفظ بسياق آية أخرى [٥].

المثال الأول:

قال الواحدي عند تفسير قوله تعالى {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ} [سورة الرعد:١٧] "قال أبو علي: وجعل الظرف الذي هو (في النار) متعلقا بـ(توقدون)[٦]، لأنه قد يوقد على ما ليس في النار؛ كقوله {فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ} [سورة القصص:٣٨] فهذا إيقاد على ما ليس في النار، وإن كان بلحقه وهجها ولهيبها؛ يريد أن هذه الجواهر تدخل النار فيوقد" [٧] .

---

١) جامع البيان للطبري (١/١٦).

٢) جامع البيان للطبري (١٣/٦١٧-٦١٨).

٣) الكشف والبيان للثعلبي (١٥/٣٦٣).

٤) تفسير القرآن العظيم (٨/١٨٦).

٥) قواعد التفسير للدكتور خالد السبت (١/١٣٨).

٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر عن عاصم. انظر السبعة في القراءات (ص ٣٥٨) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٢)

٧) التفسير البسيط (١٢/٣٣٥)

الشرح والبيان:

بين الواحدي أن الظرف متعلق بالإيقاد، وأن الناس توقد النار على الجواهر ليذهب زيفها، ويتخذوها حلية وزينة ومتاعاً، ثم بين أن الإيقاد قد يقع بما ليس في النار واستشهد بآية سورة القصص.

موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع

لم يتعرض الطبري (١) والثعلبي (٢) القرطبي (٣) وابن كثير (٤) لهذا المعنى الدقيق في شرح قوله تعالى: (ومما يوقدون عليه في النار) ولذلك لم يذكروا الآية المستشهد بها التي ذكرها الواحدي.

المثال الثاني:

قال الواحدي: "وقوله تعالى: {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾} [سورة إبراهيم:٣٤] قال ابن عباس: «يريد: أبا جهل ظلوم لنفسه كفّار بنعمة ربه»(٥)، وقال أبو إسحاق: «هذا اسم للجنس، فقصد به الكافر خاصة؛ كما قال: {وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ} [سورة العصر:١-٣] فالإنسان غير المؤمن ظلوم كفّار»(٦)، قال المفسرون: «ظلوم: كافرٌ شاكرٌ غيرَ من أنعم عليه، واضعٌ الشكر غير موضعه، {كَفَّارٌ}: جحود لنعم الله»(٧)"(٨).

الشرح والبيان:

اختار الإمام الواحدي في هذا الموضع أن الانسان في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [سورة إبراهيم:٣٤] هو الكافر، وليس جنس الإنسان الذي يشمل الكافر والمسلم العاصي؛ وذلك استنادًا إلى سورة العصر، حيث قصد بها الإنسان الكافر، لأن الله استثنى منه الذين آمنوا وعملوا الصالحات. والذي يظهر أن الاستثناء في سورة العصر منقطع بمعنى: (لكن الذين آمنوا) (٩).

---

١) جامع البيان (١٣/٤٩٩)

٢) الكشف والبيان (١٥/٢٦٥)

٣) جامع لأحكام القرآن (١٢/٤٩)

٤) تفسير القرآن العظيم (٨/١٣٢)

٥) ورد في "زاد المسير" لابن الجوزي (٣٦٥/٤)

٦) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٦٤).

٧) ورد في تفسير الطبري (١٣/٦٨٦) بنصه.

٨) التفسير البسيط (٨٢٤/١٢).

٩) يراجع تفسير سورة العصر.

واستند كذلك على كون الإنسان هنا هو الكافر بقول ابن عباس أن المراد به أبا جهل، فإذا ثبت نزول الآية في أبي جهل، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فينطبق على كل كافر.

- موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع:

قال الطبري في توضيح المقصود بالإنسان في الآية: "يقول: إن الإنسان الذي بدل نعمة الله كفرا" (١)، واختار القرطبي المراد بالإنسان القول الذي أورده الواحدي(٢)، ولم يتعرض الثعلبي(٣)، ابن كثير(٤)، والشنقيطي لتفسير هذا الجزء من الآية، وكلهم لم يذكر آية سورة العصر ولم يستشهد بها.

وبذلك تفرد الواحدي –كما مر معنا في أكثر من مثال– عن المفسرين بإعمال إحدى أهم طريق التفسير؛ ألا وهي تفسير القرآن بالقرآن، وإن كان قلّد بعض المفسرين في اختيارهم أن الإنسان في قوله تعالى: {إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [سورة إبراهيم:٣٤] هو الكافر، إلا أنه ساق النص القرآني الذي يقوي رأيه.

ومما يلاحظ في هذا المثال وما قبله، أن الواحدي لا يكتفي بالدليل القرآني، بل يسوق معه أدلة أخرى لإثبات صحة رأيٍ من آراء المفسرين من جهة، وإثبات صحة استدلاله في تفسير القرآن بالقرآن من جهة أخرى.

الوجه الخامس: أن يختار المفسر قولا في الآية استنادا على آية أخرى (٥).

قال الواحدي عند تفسير قوله {يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ} [سورة إبراهيم:٤٨]: "أن التبديل يقع على معنيين، أحدهما: تبديل العين إلى غيره، والثاني: تبديل الصورة والعين قائمة، وقد ذُكر المعنيان في هذه الآية، قال ابن عباس: «الأرض هي تلك الأرض، وإنما تُبدل آكامُها وجبالها وأشجارها» (٦) ... ونحو هذا روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «يبدل الله الأرض غير الأرض فيبسطها، ويمدُّها مدَّ الأديم العُكاظيِّ (٧) (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) »(٨). وقال الحسن: «هي هذه الأرض إلا أنها تُغيَّر إلى صورة

---

١) جامع البيان (١٣/٦٨٦)

٢) الجامع لإحكام القرآن (١٢/١٤٥)

٣) الكشف والبيان (١٥/٣٩٧)

٤) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٢٤)

٥) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية للدكتور أحمد البريدي (ص٦٢).

٦) الكشف والبيان للثعلبي (٢/١٤٤).

٧) قال ابن منظور: "وأديم عكاظي منسوب إليها، وهو مما حمل إلى عكاظ وبيع فيها". لسان العرب – مادة عكظ–(٩/٣٤٠)

٨) الحديث جزء من حديث الصور الطويل، أخرجه الطبري (٧٣٦/١٣) (٥٩٧/٣)، مختصراً، وطرفه: "إن الله عَزَّ وَجَلَّ لمّا فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور"، والحديث ضعيف، وقد ضعفه ابن كثير رحمه الله (٩٢/٦) ووصفه بالنكارة؛ بسبب تفرد إسماعيل بن رافع وهو منكر الحديث، وأكد تضعيفه أحمد شاكر –رحمه الله– فقال: هو حديث ظاهر النكارة. انظر: "عمدة التفسير")١/ ٧٨٨(.

أخرى» [1]... وهو اختيار أبي إسحاق قال: «قد يقول: بَدَّل زيدٌ، إذا تغيرت حاله، فمعنى تبديل الأرض: تسيير جبالها وتفجير بحارها، وكونها مستوية (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا)...[2]»[3].

الشرح والبيان:

أورد الواحدي -رحمه الله- قوله تعالى : {لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا} [سورة طه:١٠٧]، في سياق الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي سياق كلام الامام الزجاج مفسراً به ومبينا معنى تبديل الأرض والسماوات في قوله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ} [سورة إبراهيم:٤٨]، وذكر قول ابن عباس في شرح الآية، ليرجح أن معنى الأرض يوم القيامة هي الأرض التي نعرفها اليوم تتغير صورتها ولا تتغير عينها وأصلها.

ومن الوارد أن الواحدي قدم معنى تغيّر صورة الأرض على تغيير عينها؛ اعتباراً بالآية الكريمة: {لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا} [سورة طه:١٠٧].

ومع أن الحديث الذي أورده حديث ضعيف كما تقدم، إلا أنه استفاد منه في الجمع بين الآيتين وتوضيحهما معا، حيث ورد في نص الحديث ما يأتي:)يبدل الله الأرض غير الأرض (و (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا).

- موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع:

أسند ابن جرير الطبري [4] الحديث -كما تقدم في التخريج- عند كلامه عن الآية، وبين أن الأرض يوم القيامة هي أرض الدنيا؛ استدلالا برأي ابن عباس في "الأرض هي تلك الأرض، وإنما تُبدل آكامُها وجبالها وأشجارها"[5]، الذي عضّده بالحديث الضعيف الذي سبق إيراده.

وبمثله قال الثعلبي [6]، والقرطبي [7]، وابن كثير [8].

فوافق الواحدي، الطبري والثعلبي في الاستنباط والإفادة من الحديث في الجمع بين الآيتين وتأييدا لقول ابن عباس.

---

١) ذكره النحاس في "معاني القرآن" (٣/٥٤٥).

٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/١٦٩(

٣) البسيط للواحدي (١٢/٥١٣).

٤) جامع البيان للطبري (١٣/٧٣٥).

٥) أخرجه الطبري (١٣/٧٣٥)، وورد في تفسير الثعلبي (٢/١٤٤) بنصه.

٦) الكشف والبيان للثعلبي (٥/٣٢٨).

٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/١٦٨).

٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/٢٣٨).

الوجه السادس: الجمع بين الآيات وحل مشكل توهم التعارض بين الآيات (١) .

المثال الأول:

قال الواحدي: " وقوله تعالى {أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ} [سورة الرعد:٢٨] قال ابن عباس وغيره: يريد قلوب المؤمنين. قال الزجاج: لأن الكافر غير مطمئن القلب (٢). وذكرنا الجمع بين هذه الآية وبين قوله {إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [سورة الأنفال:٢] (٣).

الشرح والبيان:

أشار الواحدي هنا إلى توهم التعارض بين آية سورة الرعد وآية سورة الأنفال؛ لكنه أحال توضيح الاشكال وحله إلى تفسير آية سورة الأنفال، وعند الرجوع إلى ذلك الموطن وجدنا أن الواحدي يطرح الاشكال الآتي: "فإن قيل: قوله {وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [سورة الأنفال:٢]. وقوله في آية أخرى {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ} [سورة الرعد:٢٨] كيف يجمع بينهما والآيتان متدافعتان لأن الوجل خلاف الطمأنينة؟" (٤).

وهذا الإشكال من نوع توهم التعارض بين الآيات، فقوله تعالى (وجلت قلوبهم) يدل على أن قلوب المؤمنين توجل وتضطرب عند ذكر الله وقوله (تطمئن قلوبهم بذكر الله) يدل على أن قلوب المؤمنين تهدأ وتطمئن بذكر الله.

موقف المفسرين من التفسير بالقرآن في هذا الموضع

لم يتعرض المفسرون: الطبري والثعلبي وابن كثير والشنقيطي للإشكال المتوهم بين الآيتين في الموطنين(٥)، وذكر الاشكال القرطبي عند تفسيره لآية سورة الأنفال(٦)، وذكر آية سورة الرعد؛ لكنه لم يشر إلى ذلك في أثناء تفسيرها.

وقد جمع بين الآيات القرطبي، والرازي(٧)، والشنقيطي في "دفع إيهام الاضطراب"(٨)، وكلهم أجاب بجواب الواحدي أو نحوه حيث قال: "هذا جهل وذهاب عما عليه الآيتان؛ لأن الاطمئنان إنما يكون من ثلج اليقين، وشرح الصدور، ولمعرفة التوحيد والعلم به، وما يتبع ذلك من الدرجة الرفيعة والثواب الجزيل الموعود به، والوجل إنما يكون من خوف العقوبة أو عند خوف الزيغ عن الهدى، وما يستحق به الوعيد، فتوجل القلوب لذلك؛ فكل واحدة من الحالتين غير صاحبتها؛ فليس هنا إذاً تضاد ولا تدافع وهذان

١) مشكل القرآن في تفسير البسيط للواحدي جمعاً ودراسة للدكتور سلطان العنزي (ص ٧٦-٨٢) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية نظرية (ص ١٤٩)
٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/١٤٨)
٣) التفسير البسيط (١٢/٣٤٦)
٤) التفسير البسيط (١٠/١٨)
٥) جامع البيان (١١/٢٨) (١٣/٥١٨) الكشف والبيان (١٣/١٧) (١٥/٢٨٣) تفسير القرآن العظيم (٧/١٤) (٨/١٤١)
٦) الجامع لأحكام القرآن (٩/٤٤٩)
٧) التفسير الكبير (٩٥/١٥)
٨) دفع إيهام الاضطراب (ص ١٤٨)

المعنيان المفترقان في هاتين الآيتين اجتمعا في آية واحدة وهو قوله: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]"(١) .

وقال الزمخشري: "بعني فزعت لذكره استعظاماً له، وتهيباً من جلاله وعزّة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه، وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله: {ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ} [سورة الزمر:٢٣] لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه" (٢) .

المثال الثاني:

قال الواحدي عند تفسير قوله تعالى {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ} [سورة إبراهيم:٣١]: "قال ابن الانباري ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله {ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ} [سورة الزخرف:٦٧]" (٣).

الشرح والبيان:

هذا من مشكل توهم التعارض بين الآيات؛ فالآية الأولى تنفي الخلة والصحبة في يوم القيامة والآية الثانية تثبتها، قال الرازي: "فإن قيل كيف نفى المخالة في هاتين الآيتين(٤) مع أنه تعالى أثبتها في قوله {ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ} [سورة الزخرف:٦٧]" (٥).

وأجاب الواحدي عن هذا الإشكال بجواب ابن الانباري: "فأثبت الخلة للمتقين؛ لأن لذلك اليوم أحوالا ومواطن مختلفة؛ ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله... وفيه بضعها يتعاطف أولياء الله بالمخالة التي كانت بينهم" (٦).

موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن في هذا الموضع

فسر الطبري الآية إجماليا(٧)، واقتصر الثعلبي على بيان معنى لفظ (خلال)(٨)، وأما القرطبي فإنه لم يفسر الآية، وأحال تفسيرها إلى آية سورة البقرة (٩)، وأورد ابن كثير قوله تعالى {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ} [سورة البقرة:٢٥٤] بعد أن بين الآية(١٠)، وكلهم لم يتعرض للإشكال، ولا ذكروا قوله تعالى {ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ} [سورة الزخرف:٦٧]

---

١) التفسير البسيط (١٠/١٨)

٢) الكشاف (٢/١٩٥)

٣) التفسير البسيط (١٢/٤٧٩)

٤) يريد آية سورة إبراهيم وقوله تعالى {مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ} [سورة البقرة:٢٥٤].

٥) التفسير الكبير (١٩/٩٩)

٦) التفسير البسيط (١٢/٤٧٩)

٧) جامع البيان (٣/٦٨٠١)

٨) الكشف والبيان (١٥/٣٩٥)

٩) الجامع لأحكام القرآن (١٢/١٤٣)

١٠) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٢٣)

وقد تنوعت عبارات المفسرين في الجمع بين الآيتين، وحل توهم التعارض؛ فمنهم من قال: إن الخلة المنفية هي خلة الكافرين، والخلة المثبتة خلة المؤمنين، وقيل: إن الخلة المنفية الخلة التي توجب العفو والصفح عن المذنب. وقيل: الخلة المنفية ما كانت لغير الله، والمثبتة ما كانت خالصة لله(١).

الوجه السابع: الاستدلال على صحة قراءة لفظة في الآية بآية أخرى (٢) .

قال الواحدي عند قوله {وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ} [سورة الرعد:٣٣]: "ومن قرأ بفتح الصاد فالمعنى: أنهم صَدوا غيرهم عن الإيمان، يقال: صد وصددته، مثل: رجع ورجعته، ودليل هذه القراءة قوله تعالى {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [سورة النحل:٨٨][سورة محمد :١] (٣) .

الشرح والبيان:

أورد الواحدي قراءة أبي عمر وابن كثير ونافع وابن عامر (وصَدوا)(٤)، ثم وجه القراءة توجيها معنويا، وذلك أن كلمة (صَدوا) تفيد معنى آخر، وهو أنهم صدوا غيرهم عن الإيمان، وهو لا يخالف معنى القراءة الأخرى {وَصُدُّواْ}، كما وجه القراءة من جانب لغوي من جهة تصريف اللفظ.

ومن المهم إبرازه هنا هو تصريح الإمام الواحدي بالاستدلال على القراءة بقوله "ودليل هذه القراءة".

موقف المفسرين من تفسير القرآن بالقرآن بالقرآن.

اتفق المفسرون على ذكر قراءة (صَدوا) ووجهوا معناها، لكنهم اختلفوا في ذكر قوله {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} من عدمه؛ فالطبري وابن كثير لم يذكرا هذه الآية ولا غيرها(٥)، وأما الثعلبي فإنه أورد عددا من الآيات التي تدل على صحة القراءة منها الآية المستشهد بها(٦)، والقرطبي استشهد بآيات على صحة القراءة ليس منها آية سورة النحل(٧).

وهذا الوجه ظاهر جدا عند الإمام الواحدي في تفسيره (٨) .

---

١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي (١٩/٩٩) مجموع الفتاوى (١/١١٩) مشكل القرآن في تفسير البسيط للواحدي جمعاً ودراسة للدكتور سلطان العنزي (ص ٨٠٥)

٢) تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية نظرية محمد قجوي (ص٤٢٢)

٣) التفسير البسيط (١٢/٣٦٢)

٤) السبعة في القراءات (ص٣٥٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٢)

٥) جامع البيان (١٣/٥٥٠) تفسير القرآن (٨/١٥٥)

٦) الكشف والبيان (١٥/٣٠٨)

٧) الجامع لأحكام القرآن (١٢/٧٨)

٨) انظر مثلا التفسير البسيط (١٢/٣٧٧) (١٢/٣٨٦)

الخاتمة

وبعد هذا العرض الموجز عن منهج الإمام الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن خرجت ببعض النتائج المهمة ومنها ما يأتي:

- يعد كتاب "التفسير البسيط" للإمام الواحدي موسوعة تفسيرية احتوت على ما يحتاجه المفسر وطالب العلم لتفسير الآيات.
- اتضح أن الإمام الواحدي ممن اعتنى كثيرا بتفسير القرآن بالقرآن ومنهجه في ذلك متميز، وإن لم يشتهر بذلك عند العلماء والباحثين.
- كتاب "التفسير البسيط" أوسع كتب الواحدي تفسيرا للقرآن بالقرآن حيث فسر القرآن بالقرآن في سورتي الرعد وإبراهيم في أكثر من مائة موضع.
- مما يجب أن يذكر أن الواحدي كان يسوق الآية المفسِرة في الموضع اللائق بها، وله في ذلك ألفاظ وأساليب متنوعة.
- كان للواحدي منهج بارز في الإحالات للآيات القرآنية السابقة واللاحقة.
- استدل الواحدي بالآيات القرآنية واستشهد بها، وهذا يدل على سرعة بديهته واستحضاره للآيات.
- تفرد الواحدي في بعض المواطن بتفسير القرآن بالقرآن؛ حيث لم يسبقه أحد من المفسرين إلى ذلك.
- الوجوه التي استعملها الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن كثيرة ومن أبرزها هي: الجمع بين الآيات ذات الموضوع الواحد، والاستدلال على صحة القراءات.

ومن الموضوعات التي أوصي بدراستها ما يأتي:

١- مناهج المفسرين في تفسير القرآن بالقرآن دراسة موازنة.

٢- دراسة شاملة لتفسير القرآن بالقرآن في كامل كتاب "التفسير البسيط" للواحدي مع المقارنة بما ورد في كتبه الأخرى.

٣- حصر الأوجه التي استخدمها الواحدي في تفسير القرآن بالقرآن مع بيان الأوجه التي تفرد بها أو نص عليها ودلل لها.

٤- دراسة بعض الأوجه بشكل مستقل سواء عند الواحدي أو عند غيره.

فهرس المصادر المراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن المختار الشنقيطي. دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢. الإتقان في علوم القرآن. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه.

٣. البرهان في علوم القرآن. محمد بن عبدالله الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦ه.

٤. تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد مرتضى الزبيدي. ت: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

٥. التحبير في علم التفسير. عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق فتحي عبدالقادر، دار العلوم، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٠٢ه.

٦. التفسير البسيط. علي بن أحمد الواحدي. عمادة البحث العلمي–جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ه.

٧. تفسير القرآن بالقرآن تأصيل وتقويم، محسن المطيري، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

٨. تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية نظرية، محمد قجوي، مركز الدراسات القرآنية، الرابطة المحمدية، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.

٩. تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، أحد البريدي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٨هـ

١٠. تفسير القرآن العظيم. إسماعيل بن عمر ابن كثير. تحقيق مجموعة من الباحثين، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ

١١. التيسير في قواعد علم التفسير. محمد بن سليمان الكافيجي، تحقيق مصطفى الذهبي،مكتبة القدسي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩ه.

١٢. جامع البيان في تأويل آي القرآن. محمد بن جرير الطبري. تحقيق وإشراف عبدالله التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٣. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي. تحقيق مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيامه. محمد بن إسماعيل البخاري. ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ه.
١٥. السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
١٦. علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حماد، دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
١٧. علوم القرآن عند الواحدي وأثرها في التفسير، رسالة دكتوراه، حمدان العنزي، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، ١٤٣٦هـ.
١٨. الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ
١٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،للزمخشري تحقيق مصطفى حسين، دار الريان ، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ
٢٠. الكشف والبيان عن تفسير القرآن. أحمد بن محمد الثعلبي. تحقيق صلاح با عثمان وآخرون، دار التفسير، جدة الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ
٢١. لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ه.
٢٢. مشكل القرآن في تفسير البسيط للواحدي جمعا ودراسة، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين ، جامعة أم القرى،١٤٣٥هـ.
٢٣. معالم في أصول التفسير، ناصر المنيع، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.
٢٤. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق عبدالجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ
٢٥. معجم مقاييس اللغة. أحمد القزويني ابن فارس. دار الفكر، ١٣٩٩ه.
٢٦. المفردات في غريب القرآن. الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. ت: صفوان عدنان الداودي. ط:١، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ.